

فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يقدم

من سلسلة "خط الزمن"

الحلقة (24) "صلاح الدين ينهي الحكم العبيدي لمصر"

(باللهجة المصرية)



لفضيلة الدكتور: راغب السرجاني

رابط المادة: <http://way2allah.com/khotab-item-22376.htm>

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد، فأهلاً ومرحباً بكم في هذا اللقاء المبارك، وأسأل الله -عز وجل- أن يجعل هذا اللقاء في ميزان حسناتنا أجمعين.

مع الحلقة الرابعة والعشرون من "خط الزمن"

ومازلنا مع قصة فلسطين، في الحلقة اللي فاتت شفنا صلاح الدين الأيوبي -رحمة الله- كيف وحد الأمة الإسلامية، كيف جمع مصر والشام والحجاز واليمن وأجزاء من تركيا والموصل في دولة واحدة، وكيف جهّز جيشاً للقاء الصليبيين في موقعة فاصلة، وجمع الجيش بتاعه جنوب بحيرة طبرية.

واختار المكان المناسب واختار التوقيت المناسب، واستقدم الصليبيين وأتى بهم ربنا -سبحانه وتعالى- إلى حيث يريد صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- لتم الموقعة الفاصلة الكبرى بين المسلمين والصليبيين "موقعة حطين". وهي الموقعة الأشهر في تاريخ الحروب الصليبية، الكلام ده كان بيتم في يوم 24 ربيع الثاني سنة 583 من الهجرة، وده بيوافق 4 يوليو سنة 1187 من الميلاد، وده يوم لا يمكن أبداً أن يتنسى من التاريخ الأمة الإسلامية، من أعظم أيام الجهاد في تاريخ الأمة الإسلامية.

من الظروف التي ساعدت صلاح الدين في الانتصار على الصليبيين:

- فقدان الجيش الصليبي للماء

صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- رتب الظروف بحيث يلتقي الجيش الصليبي مع الجيش المسلم وهو فاقد للماء، طبعاً انتوا عارفين إن الماء عنصر رئيسي في نجاح الجيوش في هذه المعارك الضخمة، وبالذات أن الجموع كبيرة 63 ألف مقاتل لا يمكن يحملوا معهم ماء كافي من بيت المقدس إلى طبرية في شمال فلسطين، فلا بد أن يعتمدوا على الآبار أو البحيرات الموجودة في المنطقة، لكن حرموا من كل ذلك بفضل الله -عز وجل- وبفضل الإعداد العظيم الذي أعده البطل المجاهد الكبير صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-.

- إحراق الأعشاب الجافة الموجودة في المنطقة

فوق ذلك كما ذكرنا صلاح الدين حرق الأعشاب الجافة الموجودة في المنطقة، واحنا بنتكلم على شهر يوليو فمعظم الأعشاب كانت جافة، وهذه الأعشاب باتجاه الريح في المكان الذي اختاره صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- كانت تأخذ كل الدخان ناحية الجيش الصليبي، وبذلك اجتمع على الصليبيين حر الجو في يوليو، وحر العطش، وحر الدخان، وحر النار، فكانت أزمة ضخمة جدًا.

والتقى الصليبيون في موقعة فاصلة استعجلوها هم لنقص الماء عندهم وارتطم الجيش الإسلامي بالصليبيين ارتطامًا مروعًا وارتفع الغبار وتعالصت صياحات التكبير في كل مكان، وكان نصرًا مؤزرًا للمسلمين.

- فقدان الجيش الصليبي فارسًا مهمًا بفضل ذكاء صلاح الدين

في موقعة حطين حاول أمير طرابلس أن يفتح ثغرة في الجيش الإسلامي ورآه من بعيد صلاح الدين الأيوبي وكان يعرف أنه متردد في أمر القتال أصلًا ففتح له الثغر الذي يريد، ومن هذه الثغرة خرج ريموند الرابع بجيشه -أمير طرابلس- خرج بجيشه وانطلق ناحية طرابلس ليفقد الجيش الصليبي عنصرًا مهمًا جدًا من فرسانه في هذا الوقت المتحرج، وكانت هذه أزمة عمت بالجيش الصليبي كله، وأسلم الصليبيون رقابهم لسيوف المسلمين.

كثرة الأسرى والقتلى في موقعة حطين

الحقيقة الانتصار الذي حققه صلاح الدين الأيوبي في هذه الموقعة انتصار فعلاً مهول، وكما يقول المؤرخون: "الذي يشاهد الأسرى في موقعة حطين لا يتخيل أن هناك قتلى، والذي يشاهد القتلى لا يتخيل أن هناك أسرى" من كثرة القتلى وكثرة الأسرى في هذه الموقعة، 30 ألف قتيل صليبي، و30 ألف أسير صليبي و3000 هربوا مع ريموند إلى طرابلس كما فتح لهم الطريق صلاح الدين الأيوبي بإرادته -رحمه الله-، انتصار في منتهى الروعة.

أسر جاي لوزينان ورينالد شاتيون

وفي هذه الموقعة أسر صلاح الدين الأيوبي جاي لوزينان اللي هو ملك مملكة بيت المقدس وأكبر شخصية صليبية في الأراضي الإسلامية في ذلك الوقت، وأسر معه رينالد شاتيون أو -أرناط- الذي غدر بالمسلمين والذي أقسم قبل ذلك صلاح الدين -رحمه الله- أن يقتله بيده إن ظفر به، وأتى بهؤلاء الأسرى في خيمته.

موقف صلاح الدين من أرناط "رينالد شاتيون"

وفي لقاء -سبحان الله- من أروع اللقاءات في تاريخ الأمة، يعرض صلاح الدين الأيوبي في موقف عجيب جدًا على أرناط -يعني محاوره في منتهى العجب-، قال له: "يا أرناط هأنذا أنتصر لمحمد -صلى الله عليه وسلم-"

كان يقول أرناط قبل ذلك: "قولوا لمحمدكم يخلصكم"، فيقول: "هأنذا أنتصر لمحمد -صلى الله عليه وسلم-"، وقبل أن يرفع السيف ويقتله عرض عليه الإسلام وقال: "وإن أسلمت نجوت".
انظر في هذا الموقف، يفكر في الدعوة إلى الله -عز وجل-، ويحفظ دم هذا الغادر إذا أسلم، ولكن أرناط أو -رينالد شاتيون- رفض الإسلام فالتفت إليه صلاح الدين بضربة واحدة من سيفه فأطار رأسه.

موقف صلاح الدين من جاي لوزينان

طبعًا هذا الموقف أروع جدًّا جاي لوزينان ملك بيت المقدس ولم يستطع أن يخفي رعبه، وبدأ أقدامه تصطك ببعضها البعض، ولاحظ صلاح الدين هذا الأمر وقال له: "لا تخف ولا تجزع إنه من عادة الملوك ألا يقتلوا الملوك، ولكن هذا قد تجاوز الحد". وعامل جاي لوزينان بمنتهى الرأفة والرحمة والتكريم لكونه ملكًا، مع أنه ملك المحتلين لبيت المقدس وأراضي المسلمين.

إسقاط قلعة طبرية وإطلاق سراح زوجة ريموند

في يوم 25 ربيع الثاني يعني ثاني يوم مباشرة بعد موقعة حطين ذهب إلى قلعة طبرية الكبرى، وكانت لم تفتح بعد -كان أسقط طبرية بدون القلعة- وأسقط القلعة وكان فيها زوجة ريموند أمير طرابلس اللي هو خان العهد مع صلاح الدين واتحد مع الصليبيين بعد أن اتفق مع صلاح الدين ومع ذلك أطلق زوجة ريموند، وأطلقها إلى بيت المقدس وفي حراسة إسلامية، وقال: "أنه لا يأسر الأميرات الصليبيات".

موت ريموند أمير طرابلس كمدًا وحرزًا بعد هزيمة الصليبيين

وسبحان الله بعد أيام قليلة من وصول زوجة ريموند إلى طرابلس مات ريموند أمير طرابلس كمدًا وحرزًا بعد أن علم أن الجيش الصليبي قد فقد بكامله، وبذلك تخلص المسلمون أيضًا من رجل من العتاه في الجيش الصليبي.

إسقاط عكا والحصول على ما لا يُقدَّر بثمن من الغنائم

في يوم 29 ربيع الثاني يعني بعد موقعة حطين ب 5 أيام فقط سبحان الله، تقدم صلاح الدين بجيشه وحاصر عكا، انتوا عارفين عكا من أحصن المدن الساحلية أو المدن بصفة عامة في أرض الشام وهي مدينة صُعب على كثير من المسلمين ومن غير المسلمين أن يفتحوها، حاصرها في يوم 29 ربيع الثاني وأسقطها في يوم 30 ربيع الثاني، يعني ثاني يوم مباشرة فتحت المدينة أبوابها ودخل المسلمون إلى مدينة عكا، والكلام ده كان في يوم 30 ربيع الثاني، كان يوم جمعة، وصلى المسلمون الجمعة وهذه أول صلاة جمعة في الساحل الشامي بكامله منذ أن قامت الحروب الصليبية.

طبعًا خد من عكا ما لا يُقدَّر بثمن من الغنائم؛ لأنها كانت مدينة تجارية ضخمة وكان فيها يعني أملاك التجار الإيطاليين فطبعًا كان فيها غنائم رهيبية.

إرسال سرايا من عكا لفتح عدة مدن

خرج من عكا -رحمه الله- حرر واسمعوا معايا هذه الكلمات وأنا أذكر ما حدث بالواقع في التاريخ وهو شيء فعلاً مذهل حرر مدينة الناصرة، ثم حرر قيسارية، ثم حرر حيفا، ثم حرر الشقيف، وعدة مدن كل ذلك بسرايا من عكا، مركزه في عكا ويرسل السرايا الإسلامية لتحرر هذه المدن الفلسطينية من أسر الصليبيين.

استدعاء صلاح الدين لأخيه العادل ليحرر يافا ونابلس

بعد كده تراسل مع العادل، والعادل ده أخوه -العادل بن نجم الدين الأيوبي-، وكان على مصر، كان قد تركه على مصر عندما ذهب إلى الشام، وأبلغه بالأخبار السارة أنه كسر شوكة الصليبيين في موقعة حطين، وأنه تفتح له الآن البقاع والبلاد والقلاع، فأمره أن يأتي بجيشه، فأتى بجيشه من مصر وعبر صحراء سيناء ودخل فلسطين من جنوبها، والتقى مع الصليبيين في يافا في موقعة كبرى وحرر مدينة يافا.

نسأل الله -عز وجل- أن يحرر فلسطين بكاملها كما نراها تتحرر الآن على يد صلاح الدين وجيوشه. ثم بعد ذلك حرر العادل بن نجم الدين الأيوبي -رحمه الله- حرر مدينة نابلس بسرية أرسلها من يافا، وكل اللي قلناه ده يا إخواني معداش شهر على موقعة حطين، كل المدن اللي ذكرناها حُررت في أقل من شهر.

توجه صلاح الدين إلى لبنان وتحرير صرند وصيدا وبيروت وجبيل

وصلاح الدين ساب هذه المنطقة بكاملها وتوجه إلى لبنان -سبحان الله- قطع أطراف يعني يريد تقطيع أطراف مملكة بيت المقدس من شمالها إلى جنوبها، واحنا عارفين إن نص لبنان كان منضم لمملكة بيت المقدس اللي مكانها كان أو مركزها كان في القدس. سيطر على مدينة اسمها صرند ثم واصل إلى صيدا في 21 جمادى الأولى يعني بعد فترة قصيرة جداً، إحنا لسه مكملناش شهر على موقعة حطين.

وطبعاً حرر صيدا ثم انتقل إلى بيروت وحاصر بيروت 8 أيام وأسقط بيروت وضمها إلى المسلمين. ثم بعد ذلك استسلمت جبيل وكانت أيضاً جبيل محتلة من الصليبيين ولكنها كانت تابعة لإمارة طرابلس وكان قد أسر أميرها في موقعة حطين وأرسل إلى دمشق، فساوم صلاح الدين الأمير على إسقاط هذه المدينة في سبيل إطلاق سراح الأمير، ووافق الأمير واستلم صلاح الدين -رحمه الله- مدينة جبيل أيضاً في لبنان.

عودة صلاح الدين إلى فلسطين وتحرير العديد من المدن الفلسطينية

ثم عاد بعد ذلك إلى فلسطين، وفي يوم 16 من جمادى الآخرة -يعني بعد الأحداث دية بشهر تقريباً - حاصر عسقلان لمدة أسبوعين، وبعد أسبوعين سقطت عسقلان في يد صلاح الدين -رحمه الله- وبعدها أطلق الجيوش لتحرير الرملة، ثم غزة، ثم تبنين، ثم بيت لحم، ثم بيت جبريل.

هل يمكن أن نتخيل هذا؟

هل يمكن أن تُحرر كل فلسطين في أقل من شهرين؟ ده اللي حاصل تخيلوا! معدش فاضل في فلسطين كلها إلا القدس، القدس وعدة قلاع بسيطة جداً، يعني قلعة اسمها كوكب، وقلعة صغيرة اسمها صغد، يعني عده قلاع بسيطة جداً 3 أو 4 قلاع ومدينة القدس، كل القصة اللي بتكلم عليها ديه في أقل من شهرين من موقعة حطين.

الله -عز وجل- هو الذي أنزل نصره على صلاح الدين الأيوبي

قد نذهل لذلك إخواني ويا أخواتي، لكن يزول هذا الدهول عندما نقرأ قول ربنا -سبحانه وتعالى-: "فَلَمَّ تَفْتَلُوهُمْ **وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۗ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ..**" الأنفال:17، الله -عز وجل- هو الذي أنزل نصره على صلاح الدين الأيوبي، لو بتستغرب من هذا النصر قس هذا إلى قوة رب العالمين -سبحانه وتعالى- القادر على كل شيء، كن فيكون انتهت القضية.

المهم يكون في جيش وقائد يستحق نصر ربنا -سبحانه وتعالى- كصلاح الدين الأيوبي ومن معه من المجاهدين -رحمهم الله جميعاً-.

لم يبقى في أيدي الصليبيين كما ذكرنا في فلسطين إلا القدس وبعض القلاع.

توجه صلاح الدين إلى مدينة القدس لتحريرها

فتوجه مباشرة -رحمه الله- إلى مدينة القدس درة فلسطين ودرة العالم الإسلامي كيف فعل فيها؟ وماذا حدث في أرض القدس؟ وكيف تم الحصار وما هي النتائج؟ هذا ما سنعرفه بعد الفاصل.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، قبل الفاصل كنا بتكلم على الفتوحات الهائلة التي قام بها صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- في أرض فلسطين، نسأل الله -عز وجل- أن يحررها كاملة كما حررها صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-.

بعد أن انتصر في موقعة حطين انطلق على كل المدن الفلسطينية في أقل من شهرين يا إخواني، التحرير ممكن يكون قريب جداً، النصر ممكن يكون قريب جداً، بيت القصيد أن يتوفر جيش كجيش صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- ومبتكلمش على آلاف مؤلفة، 12 ألف مقاتل فقط في يد صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- عمل بيهم كل الشغل اللي اتكلمنا عليه وحررت كل المدن الفلسطينية ولم يبقى إلا القدس فقط، وقلاع بسيطة زي ما قلنا قلعة كوكب، وقلعة صغد.

حصار صلاح الدين لمدينة القدس وطلبه تسليمها بالسلم

في داخل القدس زي ما قلنا 60 ألف مقاتل دول غير 63 ألف مقاتل بتوع موقعة حطين، جوه القدس 60 ألف مقاتل ودية العاصمة، ودية اللي بقالها 92 سنة محتلة من الصليبيين، معنى كده أنها دولة متمكنة، حصونها عالية أسلحتها كثيرة، والجيش بتاعها مدرب، وزى ما قلنا دي أهم مدينة عند الصليبيين. فازاي هيتصرف مع هذا الموقف، راح صلاح الدين إلى أرض القدس متوكل على ربه - سبحانه وتعالى -، ومعاه فرقة من جيشه زي ما قلنا هما ال 12 ألف تقريبًا مفقدش منهم عدد كبير، وحاصر مدينة القدس وكان فيها زي ما قلنا 60 ألف مقاتل غير النساء والأطفال والرهبان وغير المقاتلين ودول كانوا أعداد هائلة كانت من أكبر المدن المعمورة في ذلك الوقت، الكلام ده كان في 15 رجب سنة 583 من الهجرة وضرب الحصار وطلب تسليم المدينة بالسلم.

بدأ ضرب المدينة بعد رفض البطريرك تسليمها بالسلم

رفض بطريرك القدس أن يسلم المدينة سلمًا وأرسل رسالة إلى صلاح الدين الأيوبي وقال له: "نحن نرفض أن نسلم مدينة مات فيها إلهنا" تعالى الله - عز وجل - عما يقولون، قال هذه الكلمات فنصب صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - المنجنيق حول المدينة، وحاصر المدينة وبدأ الضرب، والضرب بدأ من الناحية الشمالية، والقصف استمر مدة 12 يوم كاملة حتى أيقن الصليبيون أن المدينة ستسقط لا محالة في يد صلاح الدين الأيوبي.

موقف الصليبيين من ضرب المدينة

وهنا عرضوا الأمان على صلاح الدين الأيوبي لكنه رفض وقال: "أعاملكم كما عاملتم المسلمين في هذه المدينة منذ أكثر من 90 سنة وذبحتم أهلها"، فقال زعيم الصليبيين: "أنا لن نخرج إليك إلا بعد أن نقتل أبناءنا، ونقتل نساءنا، ونقتل كل ماشيتنا، ونحرق بيت المقدس، ونترك كل أسارى المسلمين، عندنا أكثر من 5000 أسير في داخل بيت المقدس وعندها نخرج لكم نقاتلكم قتال الموت".

خروج الصليبيين بأمان بعد دفع الجزية ووضع أسلحتهم

فهنا تردد صلاح الدين الأيوبي واستشار من معه من القوم فقالوا: "نأخذ منهم الجزية ويخرجون من المدينة آمنين بعد أن يسلموا مدينة القدس بكاملها ولا يخرجون بسلاح"، فوافق صلاح الدين الأيوبي وعرض عليهم أن يخرج القادر منهم على القتال يدفع 10 دنانير، وأن تدفع المرأة 5 دنانير، وأن يدفع الطفل دينارين وبالفعل وافق الصليبيون على ذلك.

ووضع صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- حراسة على كل مداخل ومخارج مدينة القدس العظيمة، ورفعت الأعلام الإسلامية على مدينة القدس، والكلام ده كان في 27 رجب سنة 583 من الهجرة، يعني بعد شهر قليل جدًا شهرين ونص من موقعة حطين، وطبعًا ده من آثار موقعة حطين.

أخلاق صلاح الدين العظيمة في انتصاره على الصليبيين

وبدأ الصليبيون في الخروج من القدس، والحقيقة كان استلام في منتهى الرقي وأنا عايزك تتفرج على هذا الاستلام وتنخيله وتضعه بالقياس إلى ما ذكرناه منذ عدة حلقات عندما دخل الصليبيون إلى أرض القدس.

- حفظ كامل للعهود وتأمين الناس على حياتهم

شفنا حفظ كامل للعهود من طرف صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-، شفنا تأمين الناس على حياتهم.

- إطلاق الأميرات بدون أي نوع من الجزية، أو أي نوع من الأسر، أو أي نوع من الإهانة

أطلقوا الأميرات زوجة جاي لوزينان -اللي هو كان ملك بيت المقدس- إلى زوجها الأسير، وأطلقوا زوجة أرناط الذي قتل منذ أيام على يد صلاح الدين الأيوبي أطلقوها أيضًا حرة.

- العفو عن الفقراء العاجزين عن دفع الدية

وعفوا عن كثير من الفقراء الذين لا يملكون مالا يدفعونه في الجزية عفوا عنهم هكذا.

-ولم يخربوا كنيسة واحدة من كنائس بيت المقدس.

- موقفه النبيل مع البطريرك هيركلوس

وخرج البطريرك هيركلوس وكان مُحمّل ولا يستطيع أن يسير بما يحمله من الذهب -طبعًا كان القساوسة والرهبان من أغنى أغنياء النصارى- شاييل معاه كمية ذهب كبيرة، وأخذ منه صلاح الدين الأيوبي 10 دينار، وقالوا له يا صلاح هذا يحمل كنوز ضخمة جدًا، فقال كلمة عظيمة تلخص منهجه في الحياة، قال: "لا أغدر به"، لا أغدر به، قلت أن يخرج كل إنسان بما يستطيع حمله دون السلاح فخرج هذا يحمل كل هذا الذهب فيطلقه بذهبه هكذا ولا يغدر به -رحمه الله- ولذلك ينصر مثل هذا الرجل -رحمه الله تعالى-.

- توجيه حامية عسكرية تحميهم في طريق عودتهم

ثم وجه حامية عسكرية قوية مسلمة تحمي هؤلاء الذين خرجوا بالأمان من القدس حتى تصل بهم إلى مدينة صور حتى لا يتعرض لهم المسلمين من هنا وهناك، وينقضوا عهد صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- فأى رجل هذا؟! هذا رجل ينصره ربنا -سبحانه وتعالى-.

تنظيف المسجد الأقصى ووضع منبر نور الدين محمود به

لم يستطع صلاح الدين الأيوبي أن يصلي في المسجد الأقصى في ذلك اليوم؛ لأنه كان قد حُوّل إلى مخزن للجلال، وأنشأت حوله المراحيض الكثيرة، وطبعًا كان عومل معاملة يعني في منتهى الإهانة والسوء، وأخذ أسبوع كامل في تنظيف المكان، وفي إعادة المكان إلى هيئته وفُرشت البسط الفاخرة، وأوتي بمنبر من الخشب ليخطب عليه الخطيب الخطبة في الجمعة القادمة تمهيدًا لأن يأتي صلاح الدين بمنبر نور الدين محمود -رحمه الله- الذي كان قد أنشأه خصيصًا لهذا الموضوع، وبدأ بالفعل في عمارة كل مساجد القدس.

خطبة الجمعة الأولى في بيت المقدس بعد تحريره

وفي الجمعة التالية في يوم 4 شعبان من سنة 583 من الهجرة قام الخطيب محي الدين أبو المعالي القرشي -رحمه الله- وخطب الجمعة الأولى في أرض القدس منذ 92 سنة متصلة، وفي هذه الخطبة حمد الله -عز وجل تعالى- على نصره العظيم.

مقدمة هذه الخطبة الرائعة

في الحقيقة الخطبة في منتهى الروعة لا يتسع المقام لذكر الخطبة كاملة لكن أذكر منها مقدمة الخطبة عندما يقول: "الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاء على عباده بظله، وأظهر دينه على الدين كله" وطبعًا في الخطبة كلمات كثيرة جدًا تمدح هذا الجيش المنتصر وتحض هذا الجيش على الشاء المستمر لله -عز وجل-.

دعاء رائع لصلاح الدين في نهاية الخطبة

وقال في آخر الخطبة دعاء جميل جدًا لصلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- قال: "اللهم وأدم سلطاننا عبدك الخاضع لهيبتك" وانظر يذكر في هذا الموضوع أهم صفات صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- وهو أنه عبد لله -عز وجل- وهذا هو الذي نصره.

"أدم سلطاننا عبدك الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك المعترف بموهبتك، سيفك القاطع وشهابك اللامع، والمحامي عن دينك المدافع، والذاب عن حرمك المانع، السيد الأجل، الملك الناصر جامع كلمة الإيمان، وقامع عبدة الصلبان صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، مطهر البيت المقدس، أبا المظفر يوسف بن أيوب محي دولة أمير المؤمنين" وطبعًا كلمات كثيرة أخرى. في الحقيقة الخطبة في منتهى الروعة، وأسأل الله -عز وجل- أن يمن علينا بخطبة مثلها في بيت المقدس يوم أن يححر "قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا" الإسراء: 51.

جهود عظيمة بذلها المخلصون قبل صلاح الدين وكللها الله بهذا النصر المبين

يا إخواني ويا أخواتي في هذا الموقف أنا أذكركم بالجهود العظيمة التي بذلها عماد الدين زنكي، ومن قبله مودود، ومن قبله الكثير من المجاهدين، ثم بذلها نور الدين محمود الشهيد -رحمه الله- لم يروا نصرًا بأعينهم، لكن كل هذه الجهود بُذلت، ولعل صلاح الدين لم يُولد بعد عماد الدين زنكي كان يعمل فتوحات إسلامية بتاعته، صلاح الدين اتولد في عهد عماد الدين زنكي سنة 532 من الهجرة يعني قبل 9 سنوات فقط من مقتل عماد الدين زنكي -رحمه الله-.

شغل كبير جدًا اتعمل صلاح الدين الأيوبي ربنا -سبحانه وتعالى- مهد له أن يقطف الثمرة الأخيرة لما رأى الإخلاص في قلبه وفي قلوب من أعدوا لهذا النصر الكبير.

توجه صلاح الدين إلى مدينة صور وحصارها

لم تكن هذه نهاية المطاف خرج صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- من القدس بعد أن جهز فيها العدة، وحمى الأسوار، وجهز الأوضاع، ووضع حامية إسلامية قوية في داخل القدس، خرج مباشرة في شهر رمضان عشان يحاصر مدينة صور، وكانت مدينة صور تستلم كل الذين فروا من هنا وهناك من الصليبيين، وتجمع بها أعداد كبيرة جدًا، وطبعًا مدينة صور في جنوب لبنان قريبة من بيت المقدس، وقريبة من أرض فلسطين، تجمعت فيها أعداد كبيرة جدًا وحاصر صلاح الدين الأيوبي مدينة صور في رمضان سنة 583 من الهجرة.

انسحابه من مدينة صور بعد أن أشار عليه القواد بذلك

وطبعًا مدينة صور مدينة حصينة جدًا، ولها حماية كبيرة من ناحية البحر، وطال الحصار على صلاح الدين الأيوبي، واجتمع القواد وقالوا: أن الجيش الإسلامي قد أرهاقًا شديدًا في موقعة حطين، وبعد ذلك في كل أراضي فلسطين ثم في فتح بيت المقدس، فأروا أن ينسحب صلاح الدين بجيشه ولا يحاصر صور، فوافقهم صلاح الدين مضطرًا وإن كان يرفض ذلك من داخله، وأعلن هذا الرفض مرة ثانية لكنه انسحب.

- كان ذلك من أكبر أخطائه

ولعل ذلك هو من أكبر الأخطاء في تاريخ هذا المجاهد الكبير صلاح الدين الأيوبي أن ترك مدينة صور وبها كل هذه الأعداد من الصليبيين، وهي التي أصبحت بعد ذلك نواة لحرب المسلمين من جديد لكن لكل جواد كبوة.

تحرير صلاح الدين لبقية القلاع

في سنة 584 ومن أوائلها استمر صلاح الدين -رحمه الله- في فتوحاته وحروبه وحرر القلاع التي ذكرناها قبل ذلك أنها بقيت مع مدينة القدس، حرر كوكب، وفتح جبلة في لبنان، وفتح أيضًا مدينة اللاذقية في سوريا.

الصلح المؤقت مع أمير أنطاكية وإطلاق سراح جاي لوزينان

وعزم على التوجه إلى أنطاكية، لولا أن أمير أنطاكية عرض عليه الصلح المؤقت، مدة مؤقتة في سبيل أن يطلق مجموعة كبيرة من الأسرى عنده في أنطاكية ووافق صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- وفي هذه السنة أيضاً أطلق جاي لوزينان أمير بيت المقدس أو ملك بيت المقدس على أن يعود إلى فرنسا، ووافق جاي لوزينان وأطلق سراحه.

- وبعد إطلاق سراحه خان هذا الاتفاق

وذهب لمدينة صور التي جمع فيها الصليبيون كما ذكرنا، وهو الذي قاد بعد ذلك حركة الصليبيين ليحارب بهم صلاح الدين الأيوبي بعد ذلك. وليت المسلمين يستفيدون من تاريخهم.

ندم صلاح الدين على ترك مدينة صور

صلاح الدين في هذه السنة قضى عيد الأضحى في القدس، وطبعاً كان احتفال مهيب جداً وتكبير عظيم جداً وفي هذا الاجتماع في القدس أعلن ندمه على أنه ترك في العام الماضي مدينة صور ويشعر أنه سيأتيه منها شر كبير؛ لأن جاي لوزينان راح لمدينة صور.

اتحاد الجموع الصليبية لمحاربة المسلمين

وبالفعل كما توقع صلاح الدين الأيوبي بدأت الجموع الصليبية في مدينة صور تتحد لحرب المسلمين من جديد، ولم تكفي بذلك بل أرسلت إلى أوروبا تستغيث بها ومن ثم أصبحت أوروبا على قدمٍ وساق تعد العدة لحرب المسلمين.

وهذه بدايات تجميع الحملة الصليبية الثالثة التي سيأتي عليها كبار ملوك أوروبا من أقصى أوروبا لحرب المسلمين في فلسطين.

الخاتمة

ترى ماذا سيحدث لهذه الحملة الصليبية الثالثة؟ ما هو رد فعل صلاح الدين الأيوبي؟ كم من المدن ستسقط في يد الصليبيين؟ وكم من المدن سيدافع عنها المسلمون؟ هذا ما سنعرفه بإذن الله في الحلقة القادمة. أسأل الله -عز وجل- أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن يفقهنا في سننه وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفرغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

<http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36>